اجتهاد النبيِّ ﷺ في عبادته وجهاده

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، وسَلّم تسليماً كثيراً، أَمّا بعد:

عباد الله اتقوا الله تعالى، واعلموا أنه يجب على كل مسلم ومسلمة معرفة النبي ﷺ التي هي من الأصول الثلاثة، التي يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمها، والعمل بها، ويُسأل عنها في قبره. ومن هذه المعرفة معرفة اجتهاده في عبادته وجهاده.

فقد كان النبي ﷺ أسوة وقدوة وإماماً يُقتدى به؛ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]؛ ولهذا كان ﷺ يصلي حتى تفطَّرت قدماه وانتفخت وورمت فقيل له: أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»[2].

وكان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، وربما صلى ثلاث عشرة ركعة[3]، وكان يصلي الرواتب اثنتي عشرة ركعة[4] وربما صلاها عشر ركعات[5]، وكان يصلي الضحى أربع ركعات ويزيد ما شاء الله[6]، وكان يطيل صلاة الليل فربما صلى بما يقرب من خمسة أجزاء في الركعة الواحدة[7]، فكان ورده من الصلاة كل يوم وليلة أكثر من أربعين ركعة منها الفرائض سبع عشر ركعة[8].

وكان يصوم غير رمضان ثلاثة أيام من كل شهر[9] ويتحرَّى صيام الاثنين والخميس[10]، وكان يصوم شعبان إلا قليلاً، بل كان يصومه كله[11]، ورغَّب في صيام ست من شوال[12]، وكان ﷺ يصوم حتى يُقال: لا يفطر، ويفطر حتى يُقال: لا يصوم[13]، وما استكمل شهراً غير رمضان إلا ما كان منه في شعبان، وكان يصوم يوم عاشوراء[14]، وروي عنه صوم تسع ذي الحجة[15]، وكان يواصل الصيام اليومين والثلاثة

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١.
(٢) البخاري برقم ١١٣٠، ومسلم برقم ٢٨١٩.
(٣) البخاري برقم ١١٤٧، ومسلم برقم ٧٣٧.
(٤) مسلم برقم ٧٢٨.
(٥) البخاري برقم ١١٧٢، ومسلم برقم ٧٢٩ .
(٦) مسلم برقم ٧١٩.
(٧) مسلم برقم ٧٧٢.
(٨) كتاب الصلاة لابن القيم ص ١٤٠.
(٩) مسلم برقم ١١٦٠.
(١٠) الترمذي برقم ٧٤٥، والنسائي ٤/ ٢٠٢ وغيرهما.
(١١) البخاري رقم ١٩٦٩ و١٩٧٠، ومسلم برقم ١١٥٦ و١١٥٧.
(١٢) مسلم برقم ١١٦٤.
(١٣) البخاري برقم ١٩٧١، ومسلم برقم ١١٥٦.
(١٤) البخاري برقم ٢٠٠٠ – ٢٠٠٧، ومسلم برقم ١١٢٥.
(١٥) النسائي ٤/ ٢٠٥، وأبو داود برقم ٢٤٣٧، وأحمد ٦/ ٢٨٨، وانظر: صحيح النسائي رقم ٢٢٣٦.

وينهى عن الوصال، وبيَّن أنه ﷺ ليس كأمته؛ فإنه يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه[1]، وهذا على الصحيح: ما يجد من لذة العبادة والأنس والراحة وقرة العين بمناجاة الله تعالى؛ ولهذا قال: «**يا بلال أرحنا بالصلاة**»[2]، وقال: «**وجُعِلَتْ قرة عيني في الصلاة**»[3].

وكان يكثر الصدقة، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة حينما يلقاه جبريل عليه الصلاة والسلام[4]؛ فكان يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة؛ ولهذا أعطى رجلاً غنماً بين جبلين فرجع الرجل إلى قومه وقال: يا قومي أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة[5]، فكان ﷺ أحسن الناس، وأكرم الناس، وأشجع الناس[6]، وأرحم الناس وأعظمهم تواضعاً، وعدلاً، وصبراً، ورفقاً، وأناة، وعفواً، وحلماً، وحياءً، وثباتاً على الحق.

وجاهد ﷺ في جميع ميادين الجهاد: جهاد النفس وله أربع مراتب: جهادها على تعلم أمور الدين، والعمل به، والدعوة إليه على بصيرة، والصبر على مشاق الدعوة، وجهاد الشيطان وله مرتبتان: جهاده على دفع ما يلقي من الشبهات، ودفع ما يلقي من الشهوات، وجهاد الكفار وله أربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، واليد. وجهاد أصحاب الظلم وله ثلاث مراتب: باليد، ثم باللسان، ثم بالقلب. فهذه ثلاث عشرة مرتبة من الجهاد، وأكمل الناس فيها محمد ﷺ ؛ لأنه كمَّل مراتب الجهاد كلها، فكانت ساعاته موقوفة على الجهاد: بقلبه، ولسانه، ويده، وماله؛ ولهذا كان أرفع العالمين ذكراً وأعظمهم عند الله قدراً[7]. وقد دارت المعارك الحربية بينه وبين أعداء التوحيد، فكان عدد غزواته التي قادها بنفسه سبعاً وعشرون غزوة، وقاتل في تسع منها، أما المعارك التي أرسل جيشها ولم يقدها فيقال لها سرايا فقد بلغت ستاً وخمسين سرية[8].

وكان ﷺ أحسن الناس معاملة، فإذا استسلف سلفًا قضى خيراً منه؛ ولهذا جاء رجل إلى النبي ﷺ يتقاضاه بعيراً فأغلظ له في القول، فَهَّم به أصحابه فقال النبي ﷺ : «**دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً**» فقالوا: يا رسول الله: لا نجد إلا سنًّا هو خير من سنّه فقال ﷺ : «**أعطوه**» فقال الرجل: أوفيتني أوفاك الله، فقال ﷺ : «**إن خير عباد الله أحسنهم قضاءً**»[9]. واشترى من جابر بن عبد الله رضي الله عنه بعيراً، فلما جاء جابر بالبعير قال له ﷺ : «**أتراني ماكستك؟**» قال: لا يا رسول الله، فقال: «**خذ الجمل والثمن**»[10].

---

(١) البخاري برقم ١٩٦١ - ١٩٦٤ ومسلم برقم ١١٠٢ - ١١٠٣.
(٢) أبو داود برقم ٨٥٤٩، وأحمد ٥/ ٣٩٣.
(٣) النسائي ٧/ ٦١، وأحمد ٣/ ١٢٨، وانظر: صحيح النسائي ٣/ ٨٢٧.
(٤) البخاري برقم ٦، ومسلم برقم ٢٣٠٨.
(٥) مسلم ٤/ ١٨٠٦، برقم ٢٣١٢ .
(٦) البخاري مع الفتح ١٠/ ٤٥٥، برقم ٦٠٣٣، ومسلم ٤/ ١٨٠٤، برقم ٢٣٠٨ .
(٧) زاد المعاد ٣/ ٥، ١٠، ١٢.
(٨) انظر: شرح النووي ١٢/ ٩٥، وفتح الباري ٧/ ٢٧٩ - ٢٨١، و٨/ ١٥٣.
(٩) البخاري رقم ٢٣٠٥، ومسلم برقم ١٦٠٠.
(١٠) البخاري مع الفتح ٤/ ٣٢٠، برقم ٢٠٩٧، ومسلم ٣/ ١٢٢١، برقم ٧١٥ .

وكان ﷺ أحسن الناس خُلُقاً؛ لأن خُلُقَهُ القرآن، لقول عائشة رضي الله عنها: «**كان خلقه القرآن**»[1]؛ ولهذا قال ﷺ : «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[2].

وكان ﷺ أزهد الناس في الدنيا، فقد ثبت عنه ﷺ أنه اضطجع على الحصير فأثَّر في جنبه، فدخل عليه عمر ابن الخطاب ﷺ ، ولما استيقظ جعل يمسح جنبه فقال: رسول الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا؟ فقال ﷺ: «**مالي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها**»[3]. وقال: «**لو كان لي مثلُ أُحُدٍ ذهباً ما يَسُرُّني أن لا يمر عليَّ ثلاثٌ وعندي منه شيء، إلا شيءٌ أرصُدُهُ لدين**»[4].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: (ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام حتى قبض)[5]. والمقصود أنهم لم يشبعوا ثلاثة أيام بلياليها متوالية، والظاهر أن سبب عدم شبعهم غالباً كان بسبب قلة الشيء عندهم على أنهم قد يجدون ولكن يؤثرون على أنفسهم[6]؛ ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: (خرج النبي ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير)[7]. وقالت: (ما أكل آل محمد ﷺ أُكلتين في يوم إلا إحداهما تمر)[8]. وقالت: (إنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أُوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار. فقال عروة: ما كان يقيتكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء)[9]. والمقصود بالهلال الثالث: وهو يُرى عند انقضاء الشهرين. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان فراشُ رسول الله ﷺ من أدَم وحشوُهُ ليفٌ**»[10]. ومع هذا كان يقول ﷺ : «**اللهم اجعل رزق آل محمدٍ قوتاً**»[11].

وكان ﷺ من أورع الناس؛ ولهذا قال: «**إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي أو في بيتي فأرفعها لآكلها ثم أخشى أن تكون من الصدقة فأُلقيها**»[12]. وأخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله ﷺ : «**كَخْ كَخْ ارمِ بها أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة؟**»[13].

ومع هذه الأعمال المباركة العظيمة فقد كان ﷺ يقول: «**خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يملُّ حتى تملُّوا، وأحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قل**» وكان آلُ محمد ﷺ إذا عَمِلُوا عملاً

---

(١) مسلم ١/ ٥١٣، برقم ٧٤٦ .

(٢) البيهقي بلفظه ١٠/ ١٩٢، وأحمد ٢/ ٣٨١، وانظر: الصحيحة للألباني رقم ٤٥ .

(٣) الترمزي وغيره، وانظر: الأحاديث الصحيحة برقم ٤٣٩، وصحيح الترمذي ٢/ ٢٨٠.

(٤) البخاري برقم ٢٣٨٩، ومسلم برقم ٩٩١.

(٥) البخاري مع الفتح ٩/ ٥١٧ و٥٤٩، برقم ٥٣٧٤ .

(٦) انظر فتح الباري ٩/ ٥١٧ و٥٤٩ برقم ٥٣٧٤، ومن حديث عائشة رضي الله عنها برقم ٥٤١٦.

(٧) البخاري مع الفتح ٩/ ٥٤٩، برقم ٥٤١٤ .

(٨) البخاري مع الفتح ١١/ ٢٨٢، برقم ٦٤٥٥ .

(٩) البخاري مع الفتح ١١/ ٢٨٣، برقم ٦٤٥٩ .

(١٠) البخاري مع الفتح ١١/ ٢٨٢، برقم ٦٤٥٦.

(١١) البخاري مع الفتح ١١/ ٢٨٣، برقم ٦٤٦٠، ومسلم برقم ١٠٥٥ والقوت: هو ما يقوت البدن من غير إسراف وهو معنى الرواية الأخرى عند مسلم "كفافاً" ويكف عن الحاجة، وقال أهل اللغة: القوت: هو ما يسد الرمق، وفي الكفاف سلامة من آفات الغنى والفقر جميعاً والله أعلم. الفتح ١١/ ٢٩٣، وشرح النووي ٧/ ١٥٢، والأبي ٣/ ٥٣٧.

(١٢) مسلم ٢/ ٧٥١، برقم ١٠٧٠ .

(١٣) مسلم ٢/ ٧٥١، برقم ١٠٦٩ .

أثبتوه[1]. «**وكان ﷺ إذا صلى صلاة داوم عليها**»[2]. وقد تقالَّ عبادة النبي ﷺ نفر من أصحابه ـ وقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ ؟ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال بعضهم: أمَّا أنا فأنا أصلي الليل أبدًا، وقال بعضهم: أنا أصوم ولا أفطر، وقال بعضهم: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً [وقال بعضهم: لا آكل اللحم] فبلغ ذلك النبي ﷺ فجاء إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[3]. والمراد بالسنة الهدي والطريقة لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره. ومع هذه الأعمال الجليلة فقد كان ﷺ يقول: «**سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمةٍ منه وفضل**». وفي رواية: «**سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيءٌ من الدُّلجة، والقَصْدَ القَصْدَ تبلغوا**»[4]. وكان يقول: «**يا مقلّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك**»[5]. ويقول: «**اللهم مصرِّف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك**»[6].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[7] بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

(١) البخاري مع الفتح ٤/ ٢١٣، برقم١٩٧٠، ١١/ ٢٩٤، برقم ٦٤٦٥، ومسلم ١/ ٥٤١، ٢/ ٨١١، برقم ٧٨٢ .
(٢) البخاري مع الفتح ٤/ ٢١٣، برقم ١٩٧٠، وانظر: صحيح البخاري حديث رقم ٦٤٦١ – ٦٤٦٧.
(٣) البخاري مع الفتح ٩/ ١٠٤، برقم ٥٠٦٣، ومسلم ٢/ ١٠٢٠، برقم ١٤٠١، وما بين المعكوفين من رواية مسلم.
(٤) البخاري برقم ٦٤٦٣، ٦٤٦٤، ومسلم ٤/ ٢١٧٠، برقم ٢٨١٦ – ٢٨١٨ .
(٥) الترمزي ٥/ ٢٣٨، برقم ٣٥٢٢، وغيره، وانظر: صحيح الترمزي ٣/ ١٧١ .
(٦) مسلم ٤/ ٢٠٤٥، برقم ٢٦٥٤ .
(٧) سورة التوبة، الآية: ١٢٨ .

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

عباد الله! اتقوا الله تعالى، واقتدوا بنبيكم الكريم الرحيم، فإن الله تعالى أرسله رحمة للعالمين، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[1].

عباد الله! إن العبد المسلم مأمور بالاقتداء بهذا الرسول الرحيم ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾[2]، هذا وصلوا على الرحمة المهداة كما أمركم الله تعالى بذلك فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[3]، وقال النبي ﷺ: «**مَن صلّى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً**»[4]، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وارضَ اللهم عن أصحابه: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين، وعَنّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، اللهم آمِنّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا، وجميع ولاة أمر المسلمين. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. اللهم اغفر لأمواتنا وأموات المسلمين، وأعذهم من عذاب القبر وعذاب النار، برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنا نسألك الهدى والتُّقى، والعفاف والغنى، اللهم اهدنا وسددنا، ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾[5]، عباد الله! ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[6]، فاذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿ **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾[7].

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧ .
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١ .
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦ .
(٤) مسلم، برقم ٣٨٤ .
(٥) سورة البقرة، الآية : ٢٠٢ .
(٦) سورة النحل : الآية : ٩٠ .
(٧) سورة العنكبوت: الآية : ٤٥.